

مجتمع الاسكندرية في العصر البطلمي

مصريون واغريق

للدكتور مصطفى العبادي

ما زالت أهمية موقع مدينة الاسكندرية في العصر الفرعوني - قبل الاسكندر الأكبر - من مشاكل التاريخ التي تحتاج لمزيد من الدراسة الدقيقة . وهناك من الأدلة التاريخية ما يشير إلى أن الموقع كانت له أهميته بالنسبة لمصر الفرعونية ، وأقدم من يحدثنا عن هذا الموقع في شيء من الثقة هو استرابون ، (١) فيقول : «ان ملوك المصريين الأوائل - نظراً لأنهم كانوا سعداء بما لديهم ، ومستغنين عن استيراد السلع ، ولعدم ثقتهم في كل من ركبوا البحر وخاصة الاغريق ، الذين - بسبب ندرة الأرض عندهم - كانوا يغيرون ويطمعون في أرض غيرهم ، أقام (هؤلاء الملوك) حامية عسكرية في هذا المكان ، وكلفوها برد المغيرين . ومنحوهم موطناً لهم الموقع الذي يسمى راکوتس ، وهي التي تحتل الآن ذلك الجزء من الاسكندرية الذي يقع أعلى (جنوب) الميناء ، وكانت في ذلك الوقت قرية . ومنحوا الأرض حول القرية للرعاة - وهم قوم أشداء ليصدوا المعتدين المغيرين » .

يتضح من هذا النص أن موقع الاسكندرية القديم كانت له أهمية عسكرية على الأقل زمن المصريين القدماء ، وان حامية عسكرية اقيمت في مكان مناسب من قرية راقودة ، ولا بد أن هذا المكان المناسب كان

(١) استرابون ١٧ ، ١ ، ٦ . أقام استرابون بالاسكندرية بين ٢٥ - ٢٠ ق.م ، ولا بد أنه اعتمد على مصادر أكثر قدماً ، لم تصل إلينا .

الربوة التي أصبح يطلق عليها اسم السرايوم فيما بعد . فالمصادر القديمة نتحدث عن السرايوم على أنه قلعة (Acropolis) (٢) .

ويحدثنا نص آخر - أقل قيمة من حيث سنده التاريخي (٣) - من أن هذا الموقع - قبل الاسكندرية - كانت تزوده بالمياه العذبة قناة تمتد غرباً من الفرع الكانوبي للنيل عند موقع يقال له شديا (Schedia أى المعدية) ، وان موقع الاسكندرية كانت تنتشر فيه ست عشرة قرية - راكوتى احداها ، وان هذه القرى كانت تصلها بالقناة الكبرى اثنتا عشرة قناة فرعية . فاذا سلمنا بأن هذا القول ينضمّن أساساً من الحقيقة ، تبين لنا أن قرية راقودة المصرية لم تكن معزولة بمفردها في هذا الموقع ، وان هذه المنطقة المحصورة بين بحيرة مريوط وساحل البحر كان ينتشر فيها عدد غير قليل من القرى المصرية .

ولكن لماذا اختار الاسكندر موقع راقودة بالذات ليؤسس عنده مدينته ؟ لابد أولاً انها كانت أكبر وأهم القرى جميعاً ، وهى القرية الوحيدة التي حفظ لنا التاريخ اسمها ، ويبدو انها كانت منتشرة إلى ساحل البحر حتى ان استرابون أطلق عليها اسم مدينة ، فيقول : «ولكن الاسكندر عندما زار المكان قرر تحصين المدينة التي عند الميناء» . (٤) . وإذا أضفنا إلى موقعها عند ربوة مرتفعة اقامت عليها حامية عسكرية ، انها واجهت في البحر جزيرة قريبة من الساحل هى جزيرة فاروس ، ادركنا ما جال في عقل الاسكندر من امكان الوصل بين الجزيرة والساحل بواسطة جسر كبير (Heptastadium) تمتد عليه قناة لتوصيل الماء العذب إلى الجزيرة بعد استيطانها واستغلالها . وبذلك أمكن إنشاء مينائين كبيرين ، احدهما الميناء

(٢) بوليبيوس ٥ ، ٣٩ ، افثونيوس (نشر ، في

(Botti, La Colonne Theodisienne, p. 23.

(٣) سيرة الاسكندر الأكبر ، المنسوبة لكاليستثس 5 - 31,2 Ps. Callisthes,i,

(٤) استرابون ١٧ ، ٦١ .

الشرقية الرئيسية قديماً والميناء الغربية الحالية التي أطلق عليها «العود الحميد» Eunostos (٥)

ويمكننا أن نتساءل : هل كانت فكرة انشاء ميناء في هذا المكان جديدة في حملتها ، وأن الاسكندر هو صاحبها ؟ فلقد عثر على ارصفتة ضخمة ممتدة تحت سطح البحر أمام ساحل جزيرة فاروس الشمالى . ونظراً لضخامة حجم حجارتها اقترح مكتشفها جوندته انها تحصينات مصرية قديمة ترجع إلى زمن رمسيس الثانى (٦) في حين اقترح آخر أنها جزء من أعمال امبراطورية الكريتيين في منتصف الألف الثانى ق. م (٧) . واعتقد غيرهما أنها جميعاً من أعمال البطالمة (٨) . يتضح من هذا التباين الشديد فى الآراء أن معامتنا عن هذه الارصفتة لاتتعدى مجرد وجودها وانها ضخمة الحجم . ولكن نظراً لأن جزيرة فاروس كانت معروفة لدى الأغريق منذ زمن هوميروس (٩) أى قبل الاسكندر الأكبر بخمسة قرون على الأقل ، فمن المحتمل انها كانت محطة على طريق الملاحة الرئيسية بين اليونان وميناء كانوب (أبي قير) ، عند مدخل الفرع الكانوبى ، الذى يحدنا هيرودوت . بأن الملوك المصريين ألزموا تجار الأغريق بالاتجاه اليه (١٠) .

ولنا أن نسأل الآن ماذا فعل الاسكندر بهذا الموقع ولماذا أسس عنده

(٥) المصدر السابق .

G. Jondet, Les Ports submergés de l'ancienne Ile (٦)
de Pharos, Memoires présentes à l'Instiut Egyptien,
vol. IX. (1961).

R. Weill, Les Ports antehelleniques de la côte d'Ale- (٧)
xa ndrie, et l'empire Cretois, BIFAO, XVI (1919)

F. Petrie, apud Ed. Bevan, Ptolemaic Egypt, (٨)
p. 7, n.l.

(٩) هوميروس ، أوديسيا ، ٤ ، ٣٥٤ .

(١٠) هيرودوت ، ٢ ، ١٧٩ .

أخلد أعماله جميعا وهي مدينة الاسكندرية ؟ تتفق المصادر القديمة على أن الاسكندر مر بهذا الموقع أثناء رحلته إلى واحة سيوه وأنه لحظ أهميته وأعجب به فأمر بتأسيس مدينة تحمل اسمه هناك ، وأنه إأمر المهندس دينتراطيس بتخطيط المدينة ، وأنه رأى التخطيط بنفسه على الطبيعة وأقره ، ثم كلف كليومينيس وزير ماليته في مصر بالاشراف على تشييد المدينة الجديدة (١١) . ثم رحل الاسكندر بعد ذلك ليستأنف حربه ضد الملك الفارسي ، ولم يعد ثانية إلى مدينته الا بعد موته ، حين استقر جثمانه بها في مقبرة رائعة كانت محجة القاصدين والزائرين طيلة العصر البطلمي والروماني (١٢) .

من هذه البداية البسيطة السريعة ، نمت الاسكندرية نموا هائلا قليل الحدوث ، فأصبحت طيلة الألف سنة التالية عاصمة لمصر ومركزا لحامية عسكرية وأهم ميناء في البحر المتوسط ومن أشهر المراكز الحضرية في العالم القديم ، ومن أكثر مدنه سكاكا . هذه هي المعالم الرئيسية التي أثرت في نمو مدينة الاسكندرية وتكوين سكانها . وما من شك أن هذه المعالم استغرقت زمنا طويلا لا يقل عن مائة سنة حتى استكملت ملامحها النهائية . ولكن يجب علينا ان نبدأ بالاسكندر انرى كيف بذرت البذرة وكيف تعهدت في مراحلها الأولى ، بحيث أمكن أن تنمو وتورق وتثمر بعد ذلك على نحو ما هو معروف في التاريخ .

كانت خطة الاسكندر في تأسيس المدن — وقد كان مؤسساً للمدن — واضحة بسيطة . وهي اقامة حامية مقدونية مع جماعة من الأهالي المحليين (١٣) وما من شك ان هذين الركنين من الخطة توافرا في تأسيس الاسكندرية ،

(١١) ديو دور الصقلي ١٧ - ٥٢ - ١ استرابون ١٧ - ١ - ٦ ، بلوتارخ . الاسكندر ٢٦ ، أريانوس ، ٣ - ١ - ٥ ، كوينتوس كورتيوس ٤ - ٨ - ٥ ، يوستينوس ١١ - ١١ - ١٣ .

(١٢) استرابون ١٧ - ١ - ٨ .

(١٣) A.H. M. Jones, The Greek City, pp. 2 ff.

فبمجرد ما أقر تخطيط المدينة وأمر بإنشائها أقام بها حامية مقلونية (١٤) . أما بالنسبة للمصريين فقد أبقي على أهل راقودة وأضاف اليهم آخرين من سكان القرى والمدن الأخرى المجاورة (١٥) . ولكن نظراً لقصر مدة إقامة الاسكندر في مصر فلعل تلك كانت رغبته وكلف كليومينيس بتنفيذها لأننا نرى كليومينيس بعد ذلك يقوم بعملية نقل أهالي كانوب إلى الاسكندرية (١٦) ويمكننا ان نضيف إلى هذين العنصرين من السكان الأوائل اعداداً من الأغريق سواء من الجنود المرتزقة في جيش الاسكندر أو ممن كانوا قد استقروا في مصر من قبل في ممفيس أو من تجار مدينة نقراطس . وهؤلاء هم الذين استخدمهم كليومينيس في شبكته العالمية من التجار والسفارة (١٧) وقد يتضح من النشاط التجاري الكبير الذي ارتبط بشخصية كليومينيس أن الطابع التجاري للمدينة وجعلها ميناء كبير ارتبط أيضاً بتخطيط المدينة الأول ، وأن اهتمام الاسكندر ببناء الجسر (Heptastadium) بين جزيرة فاروس والساحل وبناء المينائين كان لهذا الغرض (١٨) . إلى هنا نجد أن خطة الاسكندر في تأسيس المدينة وأهدافه منها واضحة وإنما طبقت بوضوح ونجاح أيضاً . وليس هناك خلاف بشأنه . ولكن طابعاً آخر أساسياً من شخصية المدينة لا يبدو بمثل هذا الوضوح . وهو اختيار الاسكندرية عاصمة لمصر ، متى حدث؟ وهل ارتبط بخطة تأسيسها الأولى؟ ومن الغريب ان الكتاب القدماء لم يروا فيه نموضاً ولم يختلفوا بشأنه ، ولهذا قلنا ذكره . ولكن الخلاف نشأ بين المؤرخين الحديثين ، حين رأى كورنمان رابطة منطقية بين توقيت دفن جثمان اسكندر الأكبر في مدينة

(١٤) يوستينوس ١١ - ١١ - ١٣ .

(١٥) كورتبوس ٤ - ٨ - ٥ .

(١٦) كتاب الاقتصاد المنسوب لأرسطو ج ٢ - ٣٣ .

(١٧) أنظر للكاتب « كليومينيس وسياسته المالية » مجلة كلية الآداب - اسكندرية

١٧ (١٩٦٤) ص ٦٥ - ٨٥ .

(١٨) استرابون ١٧ - ١ - ٦ .

الاسكندرية وبين اتخاذها عاصمة لـ مصر (١٩) . ثم تبعه في ذلك آخرون (٢٠) ولكن نظراً لاختلاف مصادرنا القديمة حول خط سير جيش الاسكندر إلى مقره الأخير في الاسكندرية وميعاده ، فمنهم من جعل بطلميوس الأول هو الذى يقوم بهذا العمل (٢١) ومنهم من نسبته إلى بطلميوس الثانى (٢٢) فقد اختلف العلماء الحديثون تبعاً لذلك حول توقيت اتخاذ الاسكندرية عاصمة . ويبدو ان منشأ الخطأ فى مثل هذا النوع من التفكير هو أنه ربط بين حادثتين مختلفتين ومستقلتين منطقاً وتاريخاً . ومن الطريف ان أحد كبار العلماء ممن أخذ بنظرية كورنمان فى أول الأمر وهو «هارولد ادريسن بل» ، قد عدل من موقفه وقال فى شيء من التحذير « من المحتمل أن هذا الرأى فى حاجة إلى تعديل» (٢٣) وما من شك ان بل كان محققاً فى تحذيره الذى لم يلقى استجابة — فيما أعلم — حتى الآن .

فاذا نحن فصّلنا بين الحادثتين — كما أقترح — وجدنا الأمر واضحاً . لا لبس فيه ولا ابهام . وفى مثل هذه الأمور كثيراً ما يكون المصدر القديم أصح وأصدق من اجتهادات المؤرخين التى تنطوى على كثير من الذكاء . فليس هناك مصدر واحد قديم يربط بين الحادثتين . على العكس من ذلك لدينا نص صريح لمؤرخ قديم ينص على أن الاسكندر عند «عودته من معبد

Kornmann, Die Satrapen Politik des Ersten (١٩)
Lagiden, in Raccolta ... in onore d' Giacomo Lumbrso,
pp. 235—45

H.I. Bell, Alexandria, J.E.A. 13 (1927) p. 172; P. (٢٠)
Jouguet, Trois Etudes, p. 5.

ابراهيم نصيحى : مصر فى عصر البطالمة ١ - ٦١ .

(٢١) ديو دور الصقلى ١٨ - ٢٦ - ٢٨ ، سيرة الإسكندر التى تنسب لكاليستبس

٣ - ٣٤ .

(٢٢) بوزنياس ١ - ٦ - ٣ ، ١ - ٧ - ١٠ ، أنظر استرابون ١٧ - ١ - ٨ .

(Loeb, vol. 8, p. 35. n6)

H.I. Bell, Egypt from Alexander to Arab Con - (٢٣)
quest, p.35.

اللاه آمون أسس الاسكندرية وأمر بأن تكون مستعمرة مقدونية عاصمة لمصر» .

(Reversus ab Hammone Alexandream condidit et coloniam, Macedonum caput esse Aegypti iubet.) (٢٤) .

هذه عبارة صريحة تجعل الاسكندر قد تصور وأراد الاسكندرية أن تكون عاصمة عند تأسيسها . ويبدو انها أخذت هذه الصفة منذ أيامها الأولى . فنجد ان كليومينيس وزير مالية وحاكم مصر الفعلي زمن الاسكندر جعل مركزه الاسكندرية (٢٥) . ولكن رب قائل يقول ان الميناء الجديد كان انسب للمشاطة التجاري من العاصمة القديمة ممفيس وأنسب من المدينة اليونانية القديمة نقرطيس . ولكن هذا الاعتراض يسقط نهائياً حين نعلم ان دار السكة زمن الاسكندر انشئت في الاسكندرية سنة ٣٢٦ ق . م (٢٦) وقياساً على ما هو مألوف وعلى ما حدث فعلاً في بابل زمن الاسكندر (٢٧) كانت دار السكة تقام في العاصمة . ولا نعرف ان عمالة الاسكندر صدرت أيضاً في ممفيس . اعتقد ان هذه النقطة الأخيرة تثبت بما لا يدع مجالاً للشك ان الاتجاه الرسمي نحو اتخاذ الاسكندرية عاصمة جديدة قد ارتبط بفكرة تأسيسها . ولكن ما من شك ان الانتقال الفعلي للإدارة من ممفيس إلى الاسكندرية استغرق بعض الوقت ، ريثما يتم بناء المنشآت اللازمة في المدينة الجديدة ، ريثما يتم تكوين الجهاز الإداري المركزي الجديد من عناصر اغريقية . ولا نعرف على وجه التحديد كم استغرق ذلك من زمن ولكن في أول مناسبة نسمع فيها عن بطلميوس الأول من وثيقة مصرية معاصرة في سنة ٣١١ ، نجد الكهنة المصريين يقولون انه « كان قد اتخذ مقامه في قلعة الملك اسكندر ، ، التي تسمى الاسكندرية على شاطئ البحر

(٢٤) يوسينيوس ١١ - ١١ - ١٣ .

(٢٥) أنظر للكاتب مقالة « كليومينيس » سالف الذكر .

C. Seltman, Greek Coins, p. 212. (٢٦)

ibid., p. 211. (٢٧)

الأيوني الكبير ، وكان اسمها من قبل راكوتي » . (٢٨) وبدراسة هذا النقش وتحليله أمكن أرجاع انتقال بطلميوس الأول إلى الاسكندرية إلى عام ٣٢٠ — ٣١٩ ق . م . على الأقل (٢٩) . ولا ينبغي أن يخفى عنا مقدار ما شعر به المصريون من مرارة وحزن لانتقال العاصمة والآلهة من ممفيس إلى الاسكندرية وقد لازمهم هذا الشعور طالما كانت الاسكندرية عاصمة ، ولم ينسوا أبداً اسمها القديم راكوتي .

بعد هذه المناقشة لنشأة المدينة وتأسيسها زمن الاسكندر الأكبر ، يجب أن ننقل إلى صلب موضوعنا عن مجتمع الاسكندرية في العصر البطلمي ذلك أن المدينة لم تبق على بساطتها الأولى طويلاً ، وسرعان ما نمت وتطورت تحت رعاية البطالة الأوائل واهتمامهم ، ونافست اثينا ذاتها . وأصبحت المدينة مقصد المهاجرين من كثير من شعوب العالم القديم ، ولكن الأغريق كانوا أكثر هؤلاء المهاجرين عدداً ، ونحن لا نعرف تفاصيل سياسة البطالة لاستقدام مهاجرين من اليونان للعمل في بناء الدواة الجديدة في مجالات الجيش والادارة والاقتصاد . ومن المحتمل أن بطلميوس الأول لجأ إلى اتباع سياسة منظمة لاستيراد مواطنين من مدن يونانية معينة ، مثلما استورد انتجونوس اعداداً من الاثينيين والمقدونيين ليقيمهم في مدينته الجديدة انتجونيا في سوريا (٣٠) . ولكننا لانمتلك ما يفيد ان أحد البطالة فعل ذلك . ومع ذلك فيبدو أن البطالة لم يضطروا إلى أن يجهدوا أنفسهم كثيراً ليجتذبوا إلى مملكتهم الجديدة اعداداً كبيرة من الأغريق وغير الأغريق . فبالإضافة إلى الحامية العسكرية والجالية التي كان قد

(٢٨) هناك ترجمة كاملة للنص في كتاب Ed. Bevan, Ptolemaic Dynasty, pp. 28 — 32. The original in K. S ethe, Hierogl. Urkunden, Griech — Rom, ii, pp. ii.

P.M. Fraser, Ptolemaic Alexandria, p. 7, note 28. (٢٩)

Malalas, p. 201, ed. Bonn; cf. Jones, Cities of (٣٠) Eastern Roman Provinces, 2nd ed. (1971) p. 238, 448, n. 16; Greek City, p. 7.

تركها الاسكندر ، وما انضاف اليها من الأغريق المستقرين من قبله في مصر فلا بد أن بطلميوس الأول — عندما عين ساتراباً أو حاكماً لمصر — أحضر معه قوة عسكرية أيضاً . ولكن هذه الأعداد لم تكن تكفى حاجات انشاء الدولة الجديدة . ومن أجل تشجيع وتنظيم مزيد من هجرة الأغريق إلى مصر ، اتبع بطلميوس سياسة كانت معروفة في مصر من قبل ، وهى منح الجنود قطعاً من الأرض تسمى Cleroi (٣١) ، يمكنهم أن يقيموا عليها ويستثمروها ، بدلا من نظام دفع الرواتب نقداً ، وهو ما لم يكن ممارساً في ذلك الوقت . ومن دلائل تطبيق ونجاح هذه السياسة ما يرويه ديودور الصقلي أن بطلميوس الأول حين انتصر على ديمتريوس في معركة غزة سنة ٣١٢ ق . م أسر من الجيش المهزم ٨٠٠٠ جندي وأرسلهم إلى مصر وأمر بأن يوزعوا بين النومات (٣٢) . ولهذا كانت انتصارات بطلميوس الحربية تجلب له عدداً من الجنود المقدونيين والأغريق ، في حين أن هزائمه لم تكن تفقده الكثير لأن جنوده كانوا يرفضون الانضواء تحت أواء خصمه ، وكانوا يحاولون الفرار إلى مصر حيث لهم أرض وأهل (٣٣) . على أى حال لم يجد بطلميوس مشقة في الحصول على أعداد كبيرة من الأغريق ، فان اشتهار مصر بالغنى ، واشتهار بطلميوس بالكرم جعل جماعات كبيرة منهم تأتى إلى مصر (٣٤) . ويكفى ان نقرأ تلك الأبيات المشهورة لاحد شعراء القرن الثالث ق . م . وهو هيروداس Herodas ، لنذكر شهرة مصر ومدينة الاسكندرية بالذات . في هذه القصيدة ، التى تعتبر من نوع المنولوجات الاجتماعية الساخرة ، يحدثنا هيروداس عن امرأة رحل عنها زوجها (أو عشيقها) إلى مصر ، فقصدتها امرأة عجوز ، وأخذت تغريها بأن تحول عواطفها نحو شاب رياضى . ولكن المرأة تظل على وفائها ، وترفض اغراء العجوز بأسلوب مهذب رقيق . والذى يهمنا من هذه

(٣١) هيرودوت ٢ - ١٠٩ - ١٦٨ .

(٣٢) ديودور الصقلي ١٩ - ٨٥ - ٣ و ٤ .

(٣٣) ديودور الصقلي ٢٠ - ٤٧ - ٣ و ٤ و ٢٠ - ٧٥ - ٢ و ٢٠ - ٧٦ - ٧ .

(٣٤) Rostovzeff, Soc. Ec. Hist. Hell. World, I p. 409

القصيدة ، هو ما يذكره هيروداس على لسان المرأة العجوز من أن الزوج (أو العشيق) لن يلبث أن ينسى صاحبتة بمجرد ما تطأ قدماه أرض مصر لكثرة ما فيها من مغريات : «فهنالك في مصر يوجد كل شيء وكل ما يمكن أن يوجد في أى مكان آخر : ثراء ومعاهد الجمنازيوم وسلطان ورخاء ومجد ومسارح وفلاسفة وذهب وشباب ، ومعبد الأخ والأخت المؤمنين (Philadelphoi) ، الملك الكريم ، ومجمع العلماء ، والخمر . وكل ما يشتهي الفؤاد من طيبات الحياة ، ونساء أيضاً يفقن نجوم السماء عدداً ، وينافسن في الحسن أولئك الربات اللأئي احتكن إلى باريس » (٣٥) .

يتضح من هذه الأبيات ان الشاعر هيروداس يتحدث عن مدينة الاسكندرية بالذات وانها قد بلغت في القرن الثالث ق . م قمة في الازدهار والثراء وانها قد أصبحت مقصد الطامحين من الشعوب الأجنبية في الرفة أو الشهرة أو المجد أو الثراء . فهناك ملك كريم ومجمع للعلماء ومكتبة كبرى ومعاهد وملاعب ومعابد ومسارح وشباب ونساء ونشاط جم في كل مجالات الحياة . ولم يكن غريباً أن اجتذبت الاسكندرية منذ وقت مبكر عناصر من شعوب البحر الأبيض المختلفة . فوجدنا مجتمع الاسكندرية البطلمية يضم إلى جانب العنصرين الأساسيين من مصريين وأغريق يهوداً في اعداد كبيرة وسوريين وجماعات من آسيا الصغرى مثل الفريجيين واللوكيين والكيليكين ، ومن غرب البحر الأبيض روماناً وإيطاليين وسيراكيوزيين وقرطاجيين أيضاً (٣٦) . وقد ظل هذا الطابع المختلط هو الصفة المميزة لمجتمع الاسكندرية طيلة العصرين البطلمي والروماني بعد ذلك .

وليس في ميسورنا أن نخضع كل واحدة من هذه العناصر للدراسة

(٣٥) هيروداس ١ س ٢٣ ومايليّه .

(٣٦) Fr. Heichelheim, Auswärtige Bevölkerung im Ptolemäer reich, Klio, Beiheft XVIII (1925) pp. 83 ff. ; Archiv Pap. 9 (1930) pp. 47 ff. 12 (1937) pp. 54 ff.; cf also SB 7169 (IIB.C.); Durrbach, Choix des Inscriptions de Delos, 107 (II B.C.)

التحليلية ولا أن نعرف نسبة تمثيلهم في مجتمع الاسكندرية . فباستثناء المجموعات الكبرى مثل المصريين والأغريق واليهود، لا تكاد تذكر مصادرنا القديمة عن العناصر الأخرى شيئاً تفصيلياً يشفى حاجة الدارس . وسوف نركز حديثنا هذا على المصريين والأغريق ، ومما يشجعنا على ذلك ان هذين العنصرين كانا أكثر وضوحاً ، وأكثر تميزاً في حياة المدينة . ويؤيد صحة هذا الانطباع ان المؤرخ بوليبيوس وصف لنا سكان الاسكندرية — كما رأهم في النصف الثاني من القرن الثاني ق.م — بهذه العبارة التي يغلب عليها طابع النقد والسخرية: «يسكن المدينة ثلاث طوائف : طائفة المصريين، من عنصر الأهالي الأصليين ، ويتصفون بحدة الطبع وعدم الاعتياد على الحياة المدنية ، وطائفة الجنود المرتزقة ، وتتصف بالعنف والضحامة وصعوبة الانقياد — فحسب تقليد قديم كانوا يتخذون من الأجانب جنوداً مسلحين، تعودوا أن يحكموا أكثر من أن يحكموا نظراً لتفاهة أشخاص الملوك — وثالثاً طائفة الاسكندرانيين ، وهي لم تألف الحياة المدنية المستقرة — للأسباب ذاتها ، ولكنهم مع ذلك أفضل من الآخرين . لأنهم رغم كونهم خليطاً من الناس فهم مع ذلك أغريق أصلاً ، ولا زالوا يذكرون التقاليد المشتركة بين الأغريق » (٣٧) .

هذه العبارة — باعتبارها صادرة عن كاتب على جانب كبير من الثقافة والدكاء مثل بوليبيوس — لها دلالة خاصة . لأنها تثبت أن جميع العناصر الأجنبية في الاسكندرية بما فيها اليهود قد انصهرت معاً واتخذت الطابع الأغريقى . فاذا استثنينا طائفة الجنود المرتزقة ، لم يكن الزائر للمدينة يميز في شوارعها سوى طائفتين فقط . هما طائفة المصريين وطائفة الأغريق ، وذلك على أساس اختلاف اللغة والثياب . ولكن وهذا الوصف الذى يورده بوليبيوس — رغم طرافته — يظل وصفاً جزئياً ، لأنه لا يشمل على تقسيمات أخرى نعرف ان سكان الاسكندرية كانوا ينقسمون اليها . ولمعرفة مزيد

(٣٧) هذه الفقرة لا توجد فيما بقى من كتاب بوليبيوس ، ولكن أوردتها استرابون

من التفاصيل عن عناصر سكان الاسكندرية وطريقة تنظيمهم يجب أن ترجع إلى الوثائق الرسمية البطلمية .

ذلك ان مدينة الاسكندرية كانت مدينة يونانية (Polis) ، وهناك من المعلومات ما يدل على أنها تمتعت بجميع نظم المدينة اليونانية : فكانت لها مواطنة (Politeia) خاصة بها ، يتمتع بها المواطنون فقط (٣٨) ، ولها قانون خاص (٣٩) ، وهيئة من الموظفين أو الحكام المنتخبين بواسطة المواطنين (٤٠) ، وكذلك مجلس تشريعي (Boulé) على الأرجح (٤١) ونظام المدينة يقوم أساساً على وجود المواطنة وهيئة المواطنين . ولذلك يجب أن نعرف هل اعتبر جميع سكان الاسكندرية مواطنين في المدينة . وقد يتبادر إلى الذهن بناء على عبارة بوليبيوس السابقة ان طائفة المصريين لم تكن ضمن هيئة المواطنين ، وان جميع العناصر المختلطة من أصل اغريقي كانت تكون هيئة المواطنين . ولكن عند مقارنة عبارة بوليبيوس بالوثائق الرسمية البطلمية من برديات ونقوش يتضح أن هذا التصور غير صحيح .

ولايضاح هذه الحقيقة نقول ان وثائق العصر البطلمي تبين ان هيئة المواطنين كانوا منظمين — على أساس نظام مدينة أثينا — في قبائل (tribes=Phylae) وأحياء (تسمى demoi) هذه التقسيمات لم تكن خططاً أو أحياء طوبوغرافية ، ولكن تقسيمات ادارية أو وحدات سياسية (أشبه بالدوائر الانتخابية) ، كان للمواطنين فقط حق التسجيل فيها . ونعرف ان عدداً كبيراً من سكان المدينة لم يكونوا مواطنين ، ولذلك

M.A.H. el Abbadi, *Alexandrian Citizenship*, J. (٣٨)
E.A., 48 (1962) pp. 106 ff.

P. Hal. I (second half of III B.C.). (٣٩)

A.H.M. Jones, *Cities of the Eastern Provinces*, (٤٠)
P. 302 f.

H.A. Musurillo *Acta Alexandrinorum*, no. I p. 1ff (٤١)
and commentary pp. 83 ff. cf. the recent work of P.M.
Fraser, *Ptolemaic Alexandria*, Oxford (1972).

لم يسجلوا في سجلات القبائل وأحيائها (الديمات) . ولدينا وثيقة على جانب كبير من الأهمية تظهر هذا الوضع وتكشف عن طريقة تنظيم البطالة للاعداد الكبيرة المختلطة من سكان المدينة . وتتضمن هذه الوثيقة قراراً ملكياً (Prostagma) يحدد البيانات التي ينبغي إثباتها في جميع الوثائق التي تقدم إلى محاكم الاسكندرية . وأهميتها الرئيسية لنا أنها تلقي ضوءاً على طبقات السكان في المدينة ، على النحو التالى :

ليثبت الجنود أسماءهم ومواطنهم الأصلية ، والوحدات العسكرية التي ينتمون لها ، والرتب العسكرية التي يحملونها . (ويثبت) المواطنون أسماء آبائهم وأحيائهم (demoi) ، وإذا كانوا جنوداً، (فليثبتوا) وحداتهم ورتبهم . (ويثبت) الآخرون أسماء آبائهم ومواطنهم الأصلية ونوع الحرفة التي يؤدونها (٤٢) .

لهذه الوثيقة أهمية خاصة ، فهي تدعم وتتفق مع عبارة بوليبيوس سالفة الذكر من ناحية ، وتزيد عليها تفصيلاً . فهناك طائفة الجنود المرتزقة الذين جاءوا أصلاً من مواطن مختلفين . ثم هناك جماعة المواطنين الذين كانوا جميعاً مسجلين في أحياء (demoi) وبعضهم كان يشتغل بالجندي أيضاً . وأخيراً هناك «الآخرون» ، الذين لم يكونوا مصريين فقط ، ولكن شملوا عناصر أخرى من المهاجرين الأجانب ، ولذلك لزم — مثل الجنود المرتزقة أن يسجلوا مواطنهم الأصلية . ونظراً لأن هؤلاء «الآخرين» كانوا خارج التنظيم العسكرى للجيش وخارج التنظيم المدنى للمواطنين حسب أحيائهم فقد طلب منهم اثبات حرفهم وصناعاتهم المسجلين للعمل فيها . ويبدو ان هذه الطريقة في تنظيم الأهالى حسب أعمالهم كانت طريقة مصرية قديمة (٤٣) .

يتضح من هذا النص ان سكان المدينة لم يكونوا جميعاً مواطنين بها . ولدينا وثائق كثيرة أخرى تثبت ان كثيرين من الأغريق أنفسهم في المدينة

P. Hamb. 168. (250 B.C. or earlier),

(٤٢)

(٤٣) هيرودوت ٢ ، ١٦٤ .

كانوا غير مواطنين ، وإنما كانوا رعايا الملك البطلمي مباشرة شأنهم في ذلك شأن المصريين . ولكن النقطة الأخرى التي اختلف حولها العلماء كثيراً ولازالوا يختلفون ، هي هل كان جميع المواطنين في الاسكندرية سواء من حيث الحالة المدنية ؟ ليس هنا مجال التعرض لهذا الموضوع بالتفصيل لتعقد طبيعته وشدة اختلاف الرأي بشأنه . ولكن يكفي أن أقول ان الاتجاه الغالب بين العلماء هو أن مواطني الاسكندرية كانوا ينقسمون على الأقل إلى منزلتين أو طائفتين من حيث الحالة المدنية أو المركز القانوني ، أحدهما تشمل المواطنين كاملي الأهلية المدنية ، وهؤلاء كانوا مسجلين في القبائل والأحياء (demoi) ، والطائفة الأخرى تشمل مواطنين أقل منزلة وغير مسجلين في أحياء (demoi) ، وإنما يطلق عليهم فقط اسم اسكندريين ولكن دراسة قمت بها لجميع المصادر القديمة الخاصة بهذا الموضوع اقتنعتني أن هذا التقسيم فيه شيء من التعسف ، وليس هناك دليل قاطع على وجوده قديماً . وعلى ذلك فاني اعتقد ان جميع مواطني الاسكندرية كانوا في حالة مدنية واحدة ، ومركز قانوني واحد ، وانهم جميعاً كانوا مسجلين في ديمات (demoi) (٤٤) ، ومما يطمئني على صحة هذا الاستنتاج ان مزيداً من العلماء في الخارج أصبحوا يميلون إلى الأخذ بهذا الرأي (٤٥) ، رغم ان هناك من لا يزال يتمسك بوجهة النظر القديمة (٤٦) .

يتبين من ذلك ان مجتمع الاسكندرية القديمة كان مركب التكوين شديد الاختلاط من عناصر مختلفة ، وأن معلوماتنا عن بعض جوانبه لازال يعتورها النقص وعدم الوضوح . وننتقل الآن للحديث عن أهم طائفتين في المدينة ، وهما الاغريق والمصريون . ومن حسن الحظ أن لدينا قدراً من معلومات عنها يساعد الباحث على الدراسة .

M.A.H. El Abbadi, Alexandrian Citizenship, (٤٤)

J.E.A., 48 (1962) p. 101 ff.;

A.H.M. Jones, cities of the Eastern Roman (٤٥)
provinces, 2nd. ed (1970) p. 474, note 8.

P.M. Fraser. Ptolemaic Alexandria, (1972) II. p. (٤٦)
130, n. 100.

ورغم ان الاسكندرية كانت مدينة يونانية ، أسست على النمط الاثيني ، وخططت حسب قواعد هندسة المدن الاغريقية كما عرفت في القرن الرابع ق . م . وان الطابع الغالب على الحياة فيها هو الطابع الاغريقي ، فان مصادرنا تميز من بين جميع العناصر الأجنبية ، عنصراً واحداً نشعر أنه كان يتمتع بمنزلة ومكانة خاصة ، وذلك هو عنصر المقدونيين . فمن وجهة النظر الاغريقية لم يكن المقدونيون اغريقاً ، رغم انهم كانوا يسرون نحو الاصطباغ بالصبغة الاغريقية بخطوات سريعة . ولكن نظراً لأنهم كانوا ينتمون إلى عنصر الاسكندر الأكبر أولاً ثم الملك بطلميوس بعد ذلك ، ونظراً لأنهم كانوا يعتبرون أرقى وحدات الجيش وأهم عناصره ، فلم يكن غريباً ان شعروا بشيء من الاعتزاز والفخر بمكانتهم في الجيش ويبدو فعلاً ان الاسكندر ومن بعده بطلميوس أولوا العناصر المقدونية عناية واهتماماً خاصاً . وقد ذكرنا ان الاسكندر عند تأسيسه الاسكندرية جعلها مستعمرة مقدونية ، وأقام بها تبعاً لذلك حامية مقدونية (٤٧) . ولابد أن بطلميوس الأول قد أضاف اليهم قوة أخرى أحضرها معه من بابل عندما عين ساتراباً على مصر عقب وفاة الاسكندر ، ومن المحتمل بعد ذلك ان بطلميوس قد حصل على عدد آخر منهم بعد انتصاره على برد يكاس (القائد العام بعد موت الاسكندر) حين حاول غزو مصر وتأديب بطلميوس سنة ٣٢١ ق . م (٤٨) . ولقد كان بطلميوس في حاجة خاصة إلى هؤلاء المقدونيين لبناء جيشه الجديد في مصر ، فهم جنود يعرف انه يستطيع أن يثق فيهم وأن يطمئن لولائهم في تحقيق أهدافه السياسية في مصر ، وفي مواجهة خصومه من القواد الآخرين ، خاصة بعد أن اثبت الجندي المقدوني تفوقه على الجندي الاغريقي تحت قيادة فيليب وابنه الاسكندر المقدونيين وقد اجزل بطلميوس لهم العطاء . ومنحهم كثيراً من الأرض ليستقروا عليها في مصر في زمن السلم (٤٩) ، ولكن ما من شك انه حرص على استبقاء

(٤٧) يوستينوس ١١٠ ، ١١ ، ١٣ .

(٤٨) ديودور الصقلي . ١٨ ، ٣٣ ، ١ وما بعده ،

P. Cloché, Dislocation d'un Empire, pp. 70 ff.

M. Launey, Recherches sur Les Armées (٤٩)

Hellenistiques, II, pp. 718 ff.

عدد كبير منهم في الاسكندرية ليكونوا القوة الأساسية في الحرس الملكي .
ولقد استمر الوضع على هذه الحال في عصر الملوك الثلاثة الأوائل من البطلمة
ورغم أنهم لم يتلقوا اضافات جديدة من الدم المقدوني في القرنين الآخزين
من الدولة البطلمية ، إلا أن وحدات عسكرية ظلت تحمل اسم
المقدونيين الى أن سقطت الدولة نهائياً والحقها أوغسطس بالدولة
الرومانية . ويبدو أن هذه الوحدات احتفظت بالاسم فقط ، في حين أن
تكوينها أصبح من عناصر أخرى مختلفة .

لم يبق جميع المقدونيين جنوداً فقط ، وإنما ظهرُوا في أعمال مدنية أو حتى
دينية أخرى ، فمنهم من كانوا كهنة (٥٠) ، ومنهم من شاركوا في جوانب
من النشاط المالي والتجاري (٥١) ، ومنهم أيضاً من دخل في عداد مواطني
الاسكندرية وتولى المناصب المدنية الرفيعة فيها ، مثل منصب رئيس
لجمنازيوم (٥٢)

وما من شك ان صفة المقدونيين احتلت مكانة رفيعة في الفترة الأولى
من الحكم البطلمي ، وقد انعكس ذلك على مصادرنا بصورة واضحة . ففي
القرن الثالث ق . م . كان المقدونيون من نفس عنصر الملوك ، وكونوا
أهم وأقوى وحدات الجيش ، ونتيجة لذلك تمتعوا بوضع متميز على سائر
الأغريق الآخرين . وقد اكسبهم ذلك أهمية سياسية عند تقرير خلافة
العرش ومبايعة الملك الجديد (٥٣) . ولكن لا ينبغي أن نبالغ في تقدير

O.G. I.S.733 = Breccia, Iscrizioni Gr. e Lat., no. (٥٠)

32 (after 186 B.C.)

SB. III. 7169, Alexandria (mid. II B.C.); B.G.U. (٥١)

IV. 1052. 3(14 - 13 B.C.)

S.E.G. II. no. 864, Tell Timae (Lower Delta) (٥٢)
(early Prolemaic).

(٥٣) يبدو ذلك واضحاً عقب مقتل برديكاس (٣٢١ - م .) : ديو دور الصقلي
١٨ ، ٣٦ ، ٣ - ٧ ، أريانوس ، خلفاء الاسكندر ، ٢٨ - ٣٠ . كورنيليوس
فيوس ، ٥ ، وعند اختيار بطليموس الأول لخليفته : يوستينوس ١٦ ، ٢٧ ، اثيناينوس
٥ ، ١٩٦ وما بعده .

ق . م يتخذ لقب مقدوني (Macedôn) ونظراً لأهمية وحدات المقدونيين في الجيش البطلمي أصلاً ، فقد يتبادر إلى الذهن ان هذا التحول من لقب فارسي إلى لقب مقدوني ارتبط بترقية هذا الجندي (٥٨) . ورغم امكان حدوث ذلك أحياناً ، فيجب أن ننبه إلى أن ذلك لم يكن قاعدة ، ولا ينبغي أن نظن ان صفة «المقدوني» كانت دائماً تعني أرقى مراحل الجندية طيلة العصر البطلمي . ولدينا حالة أخرى من منتصف القرن الثاني ق . م . تثبت عكس ذلك ، فنجد واحداً من فرق الحراسة أو الشرطة (ephodoi) يحمل لقب مقدوني (Makedôn) ثم نجده بعد ذلك يلتحق بمنظمة (Politeuma) الكريتيين عند ترقيته في فرق الفرسان (Katoikos Hippeus) (٥٩) . يتضح من هذه الأمثلة أن الوحدات والمنظمات العسكرية التي كانت تقوم أصلاً على أساس التكوين العنصري لأفرادها ، فقط (٦٠) . ونتيجة لذلك يمكننا أن نقول انه كان للمقدونيين نفوذهم عندما كانوا يكونون عماد الجيش البطلمي في القرن الثالث . ولكنهم بعد ذلك في القرن الثاني فقدوا هذه الميزة ، وهو تحول لم يقتصر على المقدونيين بل كان مصير كل العناصر الأغريقية والأجنبية الأخرى في مصر .

وننتقل الآن للحديث عن هذه العناصر الأغريقية التي كونت أكبر جالية أجنبية بالمدينة . بعض هؤلاء الأغريق كانوا قد استقروا في مصر من قبل في نوقراطيس أو في منف ، ولكن العدد الأكبر منهم جاء في أعقاب فتوح الاسكندر واستجابه لتشجيع البطالة الأوائل . جاء هؤلاء المهاجرون إلى مصر سعياً وراء الثراء ، وكثير منهم جاء ليحصل على الثروة عن طريق الارتزاق بالجندية ، ولكن اعداداً كبيرة وجدت طريقها

(٥٨) أورد هذه الحالة وفسرها بالترقية . M. Launey, op. cit., p. 326.

(٥٩) P. Tebt. 32; and 30, ee. 15 — 16

(٦٠) تستمر هذه الظاهرة حتى سقوط دولة البطالة كما يتضح من

B.G.U. IV. nos. 1133 (16 — 14 B.C) and 1151, (13—12 B.C.)

إلى الارتزاق عن طريق القيام بشتى أنواع العمل والنشاط الأخرى في المدينة ، فمنهم رجال الحاشية الملكية والقصر والموظفون ورجال الفنون والآداب والعلم ، ورجال التجارة والصناعة وأصحاب السفن ، وكثير من هؤلاء أصبحوا تدريجياً أصحاب أرض منحها لهم الملك أو اشتروها بما اكتسبوا من مال .

ومن العسير علينا ان نحدد المدن اليونانية التي صدرت ابنائها إلى الاسكندرية ، فليس لدينا احصاءات كافية لذلك (٦١) ، ولكن يكفي أن نقول ان أكثر من أربعين مدينة يونانية كانت ممثلة في الاسكندرية ويأتى على رأسهم الاثينيون والأسبرطيون ، والأخيون والبيوتيون والبريتيون والقورينيون (إلى جانب المقدونيين الذين تحدثنا عنهم) . ورغم اشتراكهم جميعاً في الانتماء إلى العالم الهلننى ، فقد كانوا فيما بينهم يختلفون في اللهجة أو العادات أو الطباع . ويبدو انهم في بداية العصر البطلمى كانوا لايزالون يستطيعون أن يميزوا بعضهم من بعض حسب اختلاف لهجاتهم ، وربما حدثت بينهم مشاحنات ، وعصبيات ، كما يحدث أحياناً بين أبناء البيئات المختلفة .

ولقد سجل لنا الشاعر الاسكندرى القديم ثيوكرينوس صورة شاعرية لهذه الحساسية التي وجدت بين العناصر الأغريقية المختلفة في شوارع الاسكندرية ، وذلك في قصيدته المرححة المعروفة باسم «نساء من سيراكيوز» أو «نساء في عيد ادونيس» فهو يصور لنا امرأتين من نساء الطبقة البورجوازية في المدينة ، هما «جورجوبرا اكسنوا» تخرجان مع الجماهير المزدحمة للاحتفال بعيد الإله ادونيس الذى كان يقام في القصر الملكى . وينتهى بهما السير الشاق

(٦١) تجد في قوائم أسماء الأجانب بالاسكندرية أكثر من ٥٨ جنسية أجنبية مثلة ، من بينها أكثر من أربعين جنسية تنتمى إلى مدن أغريقية ، راجع القوائم في أبحاث

Heichelheim, Auswärtige Bevölkerung im Ptolemaereich, Klio, Beiheft, XVII (1925) 83 ff; Archiv Pap. 9 (1930) 47 ff.; and 12 (1937) 54 ff.

فى الزحام الشديء إلى القصر الملكى ، وتدخلان ابهاء الفسيحة ، وإذا بهما تقفان فى دهشة واعجاب أمام لوحة من النسيج الدقيق تصور الطفل المقدس أدونيس وتعبران عن اعجابهما بهذا العمل الفنى الذى يكاد ينبض بالحياة ولكن المرأتين تفعلان ذلك فى ثرثرة ظاهرة يضيق بها من حولهما من المشاهدين فيصيح بهما أحدهم ساخراً بلهجتهم فى الكلام قائلاً : «ياإلهى من أولئك النساء ، أرجو كما توقفا عن هذه الزقزقة المستمرة » . ثم يقول لمن حوله «ان زقزقتهما تكاد تهلكنى» . ولكن إحدى المرأتين لا تسكت له ، وتنبى قائلة : «ياللعجب ، ومن أين جاء لنا هذا الرجل . وما شأنك انت إذا كنا نتصايح أو نزقزق . اشتر عبيدك قبل أن تصدر أوامرك . وأعلم انك تخاطب امرأتين من سيراكيوز ، وإذا شئت ان تعرف أكثر من ذلك فنحن من أصل كورنثى مثل بليروفون ذاته ، ونحن نتحدث اللهجة الكورنثية ، وأظن أنه يحق للدورين أن يتحدثوا باللهجة الدورية ، أليس كذلك ؟ بحق الإلهة برسيفونى ، لا تجعل لنا سادة آخرين فوق ذلك الذى عندنا فى البيت ، وسوف أفعل ما أشاء ، ووفر عليك هذا العناء» (٦٢) .

ولكن هذا التباين بين اللهجات لم يستمر بين الأغريق فى الاسكندرية ، بل نشأ عن اختلاطهم وامتزاجهم بالزواج لهجة موحدة . وحدث بمرور الزمن أيضاً ان اتخذ كثيرون من غير الأغريق انماء يونانية ، ولذلك أصبح الاسم اليونانى ابتداء من منتصف القرن الثانى ق . م . لا يعتبر دليلاً كافياً على اثبات ان صاحبه منحدر من أصل أغريقى .

ولكن الأغريق الذين استقروا بالاسكندرية لم يكونوا جميعاً — كما ذكرنا من قبل — مواطنين اسكندريين . ومن العسير علينا أن نحدد النسبة العددية بين المواطنين وغير المواطنين . وإذا كان للمواطنين مواطنهم ونظامهم ، فكيف كان الوضع بالنسبة للآخرين . فى الواقع ان الأغريق كانوا قد الفوا فى بلادهم نظام المدينة اليونانية بحيث كان من العسير عليهم — حتى فى

(٦٢) ثيوكرىتوس ، قصيدته ١٥ - س ٨٧ ومابعده .

المهجر - ان يعيشوا بغير نظام المدينة . وقد فعلوا ذلك في المستعمرات التي أقاموها لأنفسهم في جميع هجراتهم السابقة إلى شواطئ البحرين الأسود والأبيض . أما في مصر فلم يشجع الملك البطلمي هذا الاتجاه ، لأن نظام المدينة وما يتبعه من الاستقلال الذاتي على الأقل كان يتعارض مع مبدأ الحكم المطلق الذي أقامه البطلمة في مصر . ولكن ارضاء لشعور الأغريق القوي بالانتماء الاجتماعي ، سمح لهم الملك البطلمي بتكوين اتحادات أو منظمات تسمى Politeuma ، تضم كل واحدة منها أبناء الموطن الأجنبي الواحد . على نحو يشبه ما حدث بالنسبة للمقدونيين . فأصبح هناك مثلاً بوليتيو للكريتيين وبوليتيوما للبيوتيين ، كما منح بعض العناصر من غير الأغريق مثل اليهود أو من كانوا قد تأغرقوا من سكان اسيا الصغرى حق تكوين بوليتيوما .

والبوليتيوما هيئة مستقلة ذات تنظيم خاص يغلب عليه الطابع العسكري ولكن كان لها أيضاً أوجه نشاط أخرى اجتماعية ودينية . وما من شك أنها كانت خاضعة للملك مباشرة ، فمن المرجح أن السبب في انشائها هو أن تضم كل بوليتيوما مجموعة الجنود المرتزقة الذين من موطن واحد أصلاً ، بحيث يمكن تنظيمهم في وقت السلم حين ينتشرون في الريف ويستقرون في مزارعهم ، ليسهل حصرهم واستدعائهم بسرعة عند الحاجة وإذا كانت كل بوليتيوما في أول الأمر قاصرة على أبناء موطن واحد فإنها فقدت هذه الصفة بمرور الزمن ، وكما حدث في رابطة المقدونيين كذلك أصبحت بوليتيومات الأغريق منذ منتصف القرن الثاني ق . م . تضم أفراداً من مواطنين مختلفين (٦٣) .

وأخيراً ننتقل إلى الحديث عن المصريين في الاسكندرية البطلمية . وهم - كما سبق أن بينا - أقدم السكان في ذلك الموقع ، وأصبحوا بعد تأسيس المدينة أكثر العناصر عدداً . ولكن الواضح منذ البداية أنهم كانوا

(٦٣) أنظر للكاتب : مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ص ١١١ - ١١٢ .

يمثلون الطبقة الأقل اجتماعياً ، أمام الأغريق الذين كان يمثلون الطبقة الأرقى وقد نظم المصريون في الاسكندرية — كما حدث خارجها — حسب أعمالهم وحرفهم . ويظهر المصريون في بعض مجالات العمل على نحو أوضح من أخرى . فمنهم الكهنة ، أما الأكثرية فكانت تمتد المدينة بما تحتاج اليه من الأيدي العاملة . ففي مجال العبادة وخدمة المعابد نجد في نقش من الاسكندرية ذكر أربعة من المصريين باعتبارهم اعضاء في مجمع الكهنة الملكيين (Basilistai) الذين يشرفون على العبادة الملكية والآلهة الأخرى (٦٤) . ونظراً لأن أعمال التحنيط كانت من اختصاص الكهنة المصريين ، فقد استمروا يمارسون هذه الأعمال في الاسكندرية البطلمية (hoi ap' Alexandreias stolistai) « (٦٥) . أما في مجال الحرف والصناعات فرغم ندرة معلوماتنا بشأن العامالين فيها في العصر البطلمي ، فهناك دليل كاف للإشارة إلى أن المصريين كانوا الأكثرية الغالبة من الأيدي العاملة في المدينة ، خاصة وان الصناعة في مصر تعتمد أساساً على العامل الحر وليس على العبيد كما كان الحال في اليونان وروما (٦٦) . في الواقع أن فرص العمل الكثيرة المتوفرة في تلك المدينة المزدهرة أغرت كثيراً من المصريين أيضاً بترك الريف والانتقال اليها . وفي ذرات المحن والأزمات فر الفلاحون من قراهم واختبأوا في أحراش شمال الدلتا أو إلى المدن الكبرى المزدهمة وخاصة الاسكندرية . هذه الظاهرة تكرر حدوثها بشكل قوى في العصر الروماني ، ولكن يبدو أن لها جذوراً بطلمية أيضاً ، لأننا نجد الملك بطلميوس الثامن (يوارجيتس الثاني) يعان في سنة ١١٨ ق . م . عفواً شاملاً عن أولئك الذين هربوا من قراهم لأي سبب كان ويدعوهم إلى العودة ثانية واستئناف أعمالهم السابقة (٦٧) .

O.G.I.S. 131, Alexandria (II B.C.) (٦٤)

SB 5216 (I.B.C.) (٦٥)

O.G.I.S. 729 = Breccia, Iscrizione, 23 (221 — (٦٦)

203B. C also cf. my article "Aspects of Working Conditions", in Archaeol & Hist. stud. (published by Arch. Soc. Alex. 1971) no. 4, pp. 81 ff.

P. Tebt. I. 5, ff. 6 — 9 (118 B.C.) (٦٧)

ولكن ثمة مجالا آخر عمل فيه المصريون أكثر أهمية بالنسبة لوضعهم الاجتماعي وأبعد أثراً في مستقبل الدولة البطلمية كلها ، هو استخدامهم جنوداً في الجيش . لقد ذكرنا من قبل ان البطالمة الأوائل تجنبوا تجنيد المصريين واعتمدوا على استقدام المقدونيين والأغريق لبناء جيشهم . واستمروا يفعلون ذلك لمدة قرن من الزمان ، طالما كان في استطاعتهم استيراد الجنود المرتزقة من العالم اليوناني . ولكن بعد مائة سنة نصب معين اليونان ولم يعد البطالمة قادرين على استيراد اعداد كافية من هؤلاء الجنود . فاضطر بطليموس الرابع ان يتجه إلى المصريين ، فجنّد منهم نحواً من عشرين ألف ، وذلك عندما هدد دولته الملك السليوقي الحاكم في سوريا . وكانت المعركة الحاسمة عند مدينة رفح سنة ٨ - ١٧ ق . م وفي هذه المعركة حدث أمر أثار دهشة الجميع ، فرغم ان جناح الملك نفسه وقواته من الأغريق تصدع أمام هجمات العدو في بداية المعركة ولاذت بالفرار ، وجدنا ان الجناح المصري يثبت في مكانه ويُغير وجه المعركة من هزيمة محققة إلى انتصار باهر . كان لتجنيد المصريين وانتصارهم في معركة رفح أثار وردود فعل بعيدة ، سياسياً واجتماعياً ومادياً . ولكن لعل أثارها الأدبية والمعنوية بالنسبة للمصريين كانت اخطرها جميعاً . وقد أدرك هذه الحقيقة المؤرخ بوليبيوس ، باحساسه السياسي المرهف وذكائه اللامع فعبّر عنها بهذه العبارة ، : «ارتفعت ثقة المصريين بأنفسهم لدرجة أنه حدثت ثورة بواسطة الأهالي من السكان ، استمرت بضع سنوات . وحين تم القضاء على الثورة نهائياً ، كان العنصر المصري في البلاد قد اثبت قوته ، ولم يعد من الممكن انكاره » (٦٨) . بعد ذلك وفعلاً لم يكفد الجنود المصريون المنتصرون يعودون مسلحين ، حتى اشتعلت نيران ثورة وطنية شملت مصر كلها : الاسكندرية والريف . ويبدو ان نجاح الثورة في بعض مراحلها جعل زعماءها والموجهين لها يحلمون بأن تتمكن ثورتهم من الاطاحة بالحكم البطلمي برمته . وأخذوا يروجون لمثل هذه الغاية ، ويوزعون منشورات تدعو اليها . ويبدو أن الكهنة المصريين لعبوا دوراً رئيسياً في قيادة هذه

(٦٨) بوليبيوس ٥ ، ٦٥ ، ٥ ، ١٠٧ ، ١٤ ، ١٢ .

الثورة وتوجيهها ، ومن ثم جاءت دعايتهم مصطبغة بالصبغة الدينية . وقد وصلتنا فعلا بعض من وثائق هذه الثورة تثبت هذه الظاهرة . ويمكننا أن نعتبرها من منشورات الثورة ، اتخذت مظهر النبؤات الدينية ، كتبت باللغة الشعبية (الديموطيقية) أصلا . في واحدة منها يدعى كاتبها انها ترجع إلى عصر الملك تاخوس (٣٦٦ - ٣٦٠ ق . م) . من ملوك الأسرة الثلاثين ، أى قبل الفتح المقدوني . وتتحدث الوثيقة بأسلوب النبؤ عن تاريخ مصر منذ تاخوس ، وما تعرضت له من غزو وحكم اجنبي على يد الفرس أولا والأغريق بعد ذلك . ثم تنتهى النبؤة ببشرى للمصريين بان يوم الخلاص قريب وانه سيظهر واحد من أبناء أهناسية المدينة ، سيحرر مصر ويطردهم الأجانب والايونيين أى الأغريق . وما من شك ان فكرة النبؤة وقدمها التاريخي تلفيق قام به الدعاة للثورة حتى يضيفوا على دعواهم صفة العراقة والصدق الدينى ، وانما هى فى واقع الأمر حديثة التأليف من زمن الثورة نفسها (٦٩) .

ونجد الأسلوب ذاته فى وثيقة أخرى ، اشتهرت باسم «نبؤة صانع الفخار» . وتتضمن نبؤة أوحى بها إلى فخرانى ونطق بها أمام الملك أمينوفيس من ملوك الأسرة الثامنة عشرة . وما وصلنا من هذه النبؤة هى تراجم يونانية متأخرة ، ولكن أصولها الديموطيقية ترجع من غير شك إلى فترة الوثيقة السابقة . ورغم تهمل هذه البرديات ، فقد أمكن تتبع معانى بعض فقراتها . فهناك تأيؤ بأنه ستحل بمصر أيام عصيبة تقع فيها تحت حكم الأجانب ، ثم يظهر من بين المصريين من يخلص البلاد . ثم هناك اشارة لطريقة تتحدث عن مدينة الاسكندرية على هذا النحو : «(وسوف تصبح المدينة التى بجوار البحر مكاناً — يحفف فيه الصيادون شباكهم ، لأن الآلهة سوف تغادرها إلى منف ، بحيث يقول عنها من يمر بها : كانت هذه المدينة الأم الروم للعالم ، فكل شعوب الأرض وجدت لها مستقراً فيها) (٧٠)»

(٦٩) أنظر للكاتب «مصر من الاسكندر إلى الفتح العربى ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(٧٠) يوجد عرض لهذه البرديات فى .

هذان النصان وأمثالهما يعبران أحسن تعبير عن الحالة النفسية للمصريين ومقدار ما شعروا به من كراهية تجاه الأسرة البطلمية . ويبدو ان كلا من الاسكندرية ومنف اتخذتا في العقلية المصرية معنيين رمزيين . فالاسكندرية المدينة التي بجوار البحر - كانت رمزاً لحكم الأسرة البطلمية الأجنبية ، وقلما أطلقوا عليها اسماً آخر غير اسمها المصرى القديم «رع كدت» (راقودة) فقد بقيت رمزاً للوطنية المصرية وأصبحوا يتطلعون إلى اليوم الذى تعود فيه الآلهة ، واقامة الملك إلى منف . ولعل هذا الشعور الذى لازمهم طيلة العصر اليونانى والرومانى يكن أيضاً وراء قرار عمرو بن العاص بنقل العاصمة من الاسكندرية إلى موقع الفسطاط ، فهو فى منطقة مصرية صميحة . أمام منف على الضفة الغربية وإلى الجنوب مباشرة من أون أو عين شمس على الضفة الشرقية : ويؤيد صحة وجود مثل هذه الآمال والعواطف لدى المصريين فى ابان ثورتهم عقب انتصار رفع ما تضمنته أشهر وثيقة مصرية على الاطلاق المعروفة باسم حجر رشيد . وهو يتضمن قراراً صدر عن مجمع الكهنة المصريين سنة ١٩٦ ق . م . ، فى مرحلة من الثورة اعتقد المصريون ان الملك البطلمى قد استجاب لمطالبهم ، فجنحوا للسلم . ومن أهم ما يسجله الكهنة باعتزاز ان الملك قد اعفى الكهنة من التوجه إلى الاسكندرية مرة كل عام وان ينعقد اجتماعهم فى منف (٧١) . ولا بد ان هذا الخبر وحده كان يعتبر انتصاراً للوطنية المصرية . على أى حال ان محاولة انهاء الثورة صلحاً فشلت ، لأن الملك نكل بالذين اشتركوا فى الثورة ، مما جعل الثوار يعودون إلى التمرد والعصيان ، إلى أن امكن القضاء عليهم نهائياً فيما بين ١٨٥ - ١٨٣ ق . م .

أما بالنسبة للمصريين فى الاسكندرية ، فمنذ انتصار رفع أصبح هناك إلى جانب الكهنة والعمال والحرفيين وصغار الموظفين ، عدد لا يستهان به من الجنود المصريين (٧٢) . ومنهم من الحق بالحرس الملكى وتولى مناصب

(٧١) راجع كتاب «مصر من الاسكندر» ص ٨١ - ٨٣ ، وتوجد ترجمة فى

Bevan, op. cit., 262.

U.P.Z.I. 110 (164 B.C.).

(٧٢)

قيادية (٧٣) . وبعبارة أخرى وجدنا زحناً مصرياً ينمو في الادارة البطلمية ، وخاصة من بين العناصر المصرية في المدينة ، ممن اصطبغوا بالصبغة الأغريقية

ولعل ألمع شخصية في هذه الطبقة المصرية المتأغرقة هو ديونيسيوس بيتوسراييس الذى ظهر في عالم السياسة في الاسكندرية حوالى سنة ١٦٥ — ١٦٤ ق . م . ، أى في الجيل التالى مباشرة بعد الثورة التى نشبت بعد رفع ويبدو من اسمه الثانى انه من أصل مصرى ، في حين يدل اسمه الأول (ديونيسيوس) على انه تأغرق فاتخذ اسماً يونانياً . ويبدو انه قد تمكن من الوصول إلى مركز كبير في القصر الملكى . وهذه هى أول مرة يحتل فيها مصرى مثل هذه المكانة في الدولة البطلمية . ولكن مهارته الكبرى انه تمتع بشعبية كبيرة أيضاً بين المصريين ، وحاول ان يستغل انقساماً سياسياً بين الملك بطلميوس السادس وأخيه بأن يضرب احد الملكين بالآخر ثم يطيح بهما معاً . فأثار في الاسكندرية ثورة ضد الأخ الأكبر مدعياً مناصرة الأخ الأصغر . ولكن انكشفت حيلته واتفق عليه الأخوان وتمكنا من القضاء على ثورته في الاسكندرية .

ولشخصية بيتوسراييس دلالة اجتماعية إلى جانب دلالاته السياسية . فهو يمثل طبقة من المصريين في الاسكندرية انخرطوا في دوائر الاغريق ، واتخذوا الأسماء الأغريقية وتحدثوا اللغة اليونانية . وما من شك ان المصريين في الاسكندرية كانوا أكثر تعرضاً للمؤثرات اليونانية من اخوانهم في الريف الذين ظل أكثرهم محافظين على لغتهم وتقاليدهم المصرية الموروثة . ويجرنا ذلك إلى الحديث عن جوانب من الحياة الاجتماعية التى شاعت في المدينة ومقدار تأثر أو تأثير احد الجانبين في الآخر . ونبدأ بأهم جوانب الحياة الاجتماعية وهو الزواج . ومن المتوقع في مجتمع يتكون من عناصر مختلفة ان تظهر مشكلة الزواج المختلط . من المعروف ان هذا النوع من الزواج وجد وسمح به قانوناً بين الاغريق والمصريين في ريف مصر ، خارج

الاسكندرية . اما فى الاسكندرية فان الأمر ازداد تعقيداً ، باعتبارها مدينة يونانية ، لها مواطنها الخاصة وشخصيتها الذاتية . ويبدو ان ذلك زاد الحياة فى المدينة تعقيداً ، لأن السكان لم ينقسموا إلى مصريين وأغريق فحسب ، بل كذلك إلى مواطنين وغير مواطنين . وكان للمواطنين قوانين خاصة بهم يخضعون لها . ومن الثابت ان قانون مدينة الاسكندرية ، بينما سمح بالزواج بين المواطنين والأغريق من غير المواطنين ، فانه حرم الزواج المختلط بين المواطنين والمصريين . ولكن يبدو ان هذا القانون لم يطبق تطبيقاً دقيقاً ، ووجدت مخالفات جعلت المشرع فيما بعد يدخل عليه تعديلاً يخفف من صرامته . فأصبح يعترف بمثل هذا النوع من الزواج إذا تم دون علم أحد الطرفين بالحالة المدنية الرسمية للطرف الآخر ، فى هذه الحالة منح الابناء من مثل هذا الزواج مواطنة الاسكندرية (٧٤) . أما الزواج بين المصريين والأغريق من غير المواطنين فلا بد انه سمح به فى المدينة كما سمح به فى الريف. (٧٥)

نتيجة لذلك كله وجد فى الحياة الاجتماعية خليط غريب من التقاليد والنظم القانونية المصرية والأغريقية . وليس لدينا وثائق كافية من الاسكندرية توضح هذه الاختلافات ، ولكن قياساً على ما وجد فى الوثائق من الريف يبدو ان ابسط أنواع الزواج هو الزواج المصرى ، فقد كان يتم فى كثير من الحالات على الأقل بناء على اتفاق شفوى (agraphus) ، أى غير مكتوب ولا مسجل ، وبعبارة أخرى كان يقوم على أساس العرض والقبول والاشهار والمعاشرة . ولكن لدينا عقوداً مصرية مكتوبة بشأن اعادة الزوج للزوجة . ولكن هذه العقود فى الواقع عبارة عن اتفاق بين رجل وامرأة متزوجين فعلاً بشأن املاكهما والعلاقة المالية بينهما من أجل ضمان حقوق

(٧٤) أنظر للكاتب «صور من الحياة الاجتماعية فى الاسكندرية القديمة» فى دراسات أثرية وتاريخية العدد ١ (١٩٦٨) ص ٤٤ - ٤٥ (جمعية الآثار بالاسكندرية) .

Taubenschlag, Law in Greco-Roman Egypt, pp. (٧٥) 77 ff.

الزوجة . وبالتدريج شاع هذا النوع من الزواج المصرى بين الأغريق الذين أصبحوا يعقدون اتفاقاً خاصاً لتنظيم العلاقة المالية بين الزوج والزوجة .

ولكن المؤلف بين الأغريق انهم استخدموا عند الزواج عقوداً مكتوبة ومسجلة . وكانت عقود الزواج التى شاعت بين الأغريق فى الاسكندرية تحدد مسئوليات كلا من الزوج والزوجة تجاه الآخر . ولدينا طاب بتسجيل عقد زواج فى الاسكندرية ، هذا نصه :

«إلى بروتارخوس من ثرميون بنت ايون ، مع وكيلها أبولونيوس ابن خيرياس ، ومن أبولونيوس بن بطلميوس . اتفق كل من ثرميون وأبولونيوس بن بطلميوس على أن يجتمعا فى حياة مشتركة ، ويعترف أبولونيوس بن بطلميوس بأنه قد تسلم من ثرميون عن طريق اليد من منزلها صداقاً يتكون من زوج اقراط من الذهب يزن ثلاثة قراريط ومبلغ ... دراخمة من الفضة . ومنذ الآن سيمد أبولونيوس بن بطلميوس ثرميون باعتبارها زوجته الشرعية بكل ما يلزمها ، وملابس حسب ما تسمح به موارده المالية ، وانه سوف لا يسيء اليها ولا يطردها ولا يسبها ، ولا يجلب إلى البيت امرأة أخرى ، والا فقد حقه فى الصداق مزاداً مرة ونصف . ويمكن التنفيذ مباشرة على شخص أبولونيوس بن بطلميوس وأملاكه ، كما لو كان بحكم قضائى . وكذلك سوف تفى ثرميون بواجباتها نحو زوجها وحياتها المشتركة ، وسوف لا تتغيب من المنزل دون اذن من أبولونيوس بن بطلميوس سواء بالليل أو بالنهار ، والا تأتى فعلاً يشين أو يؤذى حياتهما المشتركة ، والا تعاشر رجلاً آخر . وإذا تبين بعد المحاكمة انها ارتكبت واحداً من هذه الفعال ، سوف تفقد حقه فى الصداق . وبالإضافة إلى ما سبق فان الجانب المذنب تفرض عليه الغرامة المعينة فى العام السابع عشر من قيصر ، ٢٠ من شهر برموت» (٧٦) .

(٧٦) هذا النص يرجع إلى بداية العصر الرومانى وهو يوضح ما كان سائداً فى العصر البطلمى أيضاً من حيث تقاليد الزواج . إذ ليس لدينا عقد زواج بطلمى من الاسكندرية .

B.G.U. 0152 (13 B.C.)

هذه الوثيقة وأمثالها تكشف لنا عن جوانب كثيرة من نظام الزواج الذى ساد فى ذلك الوقت . فالمرأة اليونانية لا تتعاقد بشخصها مباشرة ، وإنما معها دائماً وكيل ، عادة والدها أو أخوها . كما كانت المرأة هى التى تقدم «المهر» ، وفى حالة انطلاق ، إذا كان الزوج هو المذنب يفقد حقه فى المهر أو الصداق ، مضاعفاً أو مزاداً مرة ونصف ، ولكن إذا كانت الزوجة هى المذنبة فإنها تفقد حقه فى الصداق فقط . وبالإضافة إلى ذلك فكان يفرض على الجانب المخطئ غرامة معينة . كما يلاحظ أيضاً انه قد نص فى هذه العقود على عدم السماح بتعدد الزوجات . وهذا يدفعنا إلى الافتراض بأن تعدد الزوجات كان معروفاً بين الأغريق ومن ثم لزم التنويه فى العقد على عدم السماح به بناء على رغبة الزوجة . أما بالنسبة للمصريين فن العسيز القطع بمدى انتشاره بينهم ، لأن هيرودوت الذى زار مصر فى القرن الخامس ق . م . قال ان نظام الزوجة الواحدة ساد فى مصر (٧٧) . فى حين أن ديودور الصقلى الذى كتب فى القرن الأول ق . م . ذكر ان الكهنة فقط هم الذين مارسوا نظام الزوجة الواحدة ، أما سائر الناس فكان فى استطاعتهم أن يتخذوا من الزوجات ما يشاءون (٧٨) . ولكن الدكتور مصطفى الأمير قد اثبت أخيراً أن هناك دليلاً كافياً فى الوثائق الديموطيقية يؤكد وجود عادة تعدد الزوجات بين المصريين فى العصرين الفرعونى والبطلمى (٧٩) .

أما فى مجال الحياة الدينية فقد كان المصريون شديدي التمسك والاعتداد بدينهم وآلهتهم ، فحافظوا على تقاليدهم الدينية الموروثة . ومما ساعدهم على هذا الشعور بالتفوق ، أن الأغريق أنفسهم كانوا مهياين له ، وكانوا يشعرون تجاه الآلهة المصرية بكثير من الخشوع والرهبة . نعرف ان هذا الموقف شاع بين الأغريق الذين حضروا إلى مصر قبل الاسكندر الأكبر

(٧٧) هيرودوت ٢ ، ٩٢ .

(٧٨) ديودور ١ ، ٨٠ .

(٧٩) Monogamy, Endogamy and Consanguinity in^١ Ancient Egyptian Marriage, BIFAO (1964) p. 14.

حتى ان هيرودوت اعتقد أن بعض الآلهة الأغريقية في منشأها كانت آلهة مصرية وهاجرت إلى اليونان (٨٠) . وقد ساعد مثل هذا التفكير على تشبيه الآلهة اليونانية بالآلهة المصرية ، فشبه زيوس مثلاً بأتون ، وشبهت افروديتي بحتحور وديميتير بازيس وديونيسوس باوزيريس وشبه هيفا بستوس ببتاح وأبوللو بحدوس .. وهكذا (٨١) . وقد ساعدت هذه المطابقة على أن تغزو الآلهة المصرية قلوب الأغريق ، فوجدنا الأغريق على كل مستوياتهم الاجتماعية يتعبدون ويقدمون القرابين للآلهة المصرية والأغريقية معاً ، وبمرور الزمن تفوقت الآلهة المصرية (٨٢) .

ومما يوضح هذا الاتجاه ما حاوله البطالمة عندما أرادوا أن يتخذوا الهاً جديداً لدولتهم الجديدة ، بحيث يكون لديه من الصفات ما يجعله مقبولاً لدى المصريين والأغريق معاً . فوقع اختيارهم على اله مصري محلي في مدينة منف هو الاله أوزير — حابي أو أوزير أبيس . وهو يمثل العجل المقدس أبيس عند اتحاده في العالم السفلي بالاله أوزيريس . وكان الاله المصري يمثل ويعبد على هيئة العجل . ولكن خشى البطالمة ألا يتقبل الأغريق هذه الصورة الحيوانية للاله ، ولذلك قرروا عندما أقاموا له معبد السرايوم بالاسكندرية ، ان يدخلوا على شخصيته تعديلين : الأول يمس اسمه فأصبح سرايس ليسهل على الأغريق نطقه . والآخر هو تصويره في صورة بشرية ، ومنحه هيئة تشبه زيوس نفسه (٨٣) . ورغم جهود البطالمة في الترويج للاله سرايس والانفاق على معابده ، فان المصريين لم يقبلوا على عبادته أولاً ، واعتبروا ما حدث للاله هو نوع من المسخ لشخصيته . ولذلك سرايس ظل نحوقرن ونصف من تاريخ الدولة البطلمية الها رسمياً بعيداً عن

(٨٠) هيرودوت ١٧١، ٢، ٥٩، ٢، ٤٢، ٤٢ .

H.I. Bell, Cults and Creeds in Greco-Roman Egypt, p.15. (٨١)

E. Visser, Götter und Kulte, pp. 71. ff. (٨٢)

Bell, op.cit., pp. 19 ff. (٨٣)

قلوب المصريين ومشاعرهم الدينية . حتى إذا كان النصف الأخير من العصر البطلمي وجدنا هذا الاله يزداد شعبية تدريجياً ويصبح في العصر الروماني أهم الالهة المصرية جميعاً وأشهرها . ويبدو ان هذا التحول في شعبية سراپيس لم يحدث إلا بعد أن استعاد شخصيته المصرية في معبد الاسكندرية واقامت له في المعبد تماثيل على هيئة العجل . وأكبر دليل على صحة هذا التفسير هو عثورنا على تمثال كامل جميل من الجرانيت الأسود لعجل ابيس في موقع معبد السراپيوم بجوار عمود السوارى . وهذا التمثال موجود حالياً في المتحف اليوناني الروماني بالاسكندرية (صالة ٦) (٨٤) . وهذا التمثال يعود إلى زمن الامبراطور هادريان في العصر الروماني ولكنه يوضح استرداد الاله لشخصيته المصرية .

To: www.al-mostafa.com